الفصل الثالث:

فضل التطوع الصحي

في الكتاب والسنة وفي أخبار الصحابة والتابعين

اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وزّع الأرزاق بين عباده، وجعل بعضهم أضعف شأنًا، وأدنى حالًا، فتمر بهم الأزمات والكربات، ولأن الدين الإسلامي لا يقوم على الفرديّة أو الأنانيّة؛ وإنّما هو دِين اجتماعي، أفراده يساعدون بعضهم بعضًا، ويلتمسون حاجات ضِعافهم، طلبًا للمثوبة والأجر من اللّه عَزَّوَجَلَّ، وهو ما نطلق عليه بالأعمال التطوعية، التي حثنا عليها اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ودعا إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأصبح العمل التطوعي ركيزة أساسية في بناء المجتمع، ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين لأي مجتمع. والعمل التطوعي الصحي هو أحد أوجه العمل التطوعي المهمّة، فهو داخل في الفضل والمثوبة، التي وعد اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها. ذلك الفضل جاء في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وأخبار الصحابة والتابعين، رضوان اللّه عليهم جميعًا. وفيما يأتي بعض من تلك الفضائل:

١- فضل التطوع الصحي في القرآن الكريم:

وعد المولى عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم أهل الإيمان المتطوعين بأعمال الخير والإحسان بجنة عرضها السموات والأرض: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، ولا شك أن الأعمال التطوعية في المجالات الصحية والإنفاق عليها ورعاية المرضى هي من أعمال الخير والإحسان. وهو من صفات الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ويبيّن المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مكانة وفضل الأعمال التطوعية بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]، وفي قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فالأمر هنا عمل تطوعي بدني، سواء كان أمرًا بصدقة أو أمرًا بمعروف، أو سعيًا في الإصلاح بين الناس. فكل إنسان مطالب بعمل الخير وبذل المعروف، وذلك بما يتناسب مع قدراته انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة: ٢]، ولا شك أن بذل المعروف باب واسع، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعمل التطوعي في المجال الصحي هو من الأعمال التي تنفع العباد والتي بلا شك من العمل الصالح المثاب عليه فاعله، في مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[سورة العصر]، وفي

مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[سورة التين]، ومهما صغر العمل الخيري فإنه مثاب عليه إذا كان صوابًا خالصًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧].

٢- فضل التطوع الصحي في السنة النبوية:

ضرب الحبيب المصطفى ﷺ العديد من الأمثلة في الأعمال التطوعية، ليكون قُدوةً لأمته حاملًا للوائها، من تلك الأمثلة ما شهدت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وذلك أنه لما رأى جبريل عليه السلام ونزل عليه بقول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[العلق: ١-٣]، رجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «**زملوني زملوني**»، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**». فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[1]. متفق عليه.

وقد بيّن لنا رسولنا ﷺ مشروعية العمل التطوعي، ومن ضمنها ما يتصل بالمجال الصحي في أحاديث كثيرة، منها

(١) أخرجه البخاري (١/٧ رقم ٣)، ومسلم (١/١٣٩-١٤١ رقم ٦٠).

حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في سفر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ جاءَ رجل على رَاحِلَة له، قال: فجعل يَصْرِفُ بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان معه فضلُ ظهر فلْيَعدُ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليَعُد به على من لا زاد له**»[1]، وذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حَقَّ لأحد منا في فضل. أخرجه مسلم.

وكان رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أهل الأعمال التطوعية، ويعتني بهم ويتفقدهم، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد، ففقدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسأل عنها بعد أيام، فقيل له: إنها ماتت. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فهلا أذنتموني**» فأتي قبرها فصلى عليها [2]، رواه البخاري ومسلم وابن ماجه بإسناد صحيح، واللفظ له.

وبيّن لنا رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة العمل التطوعي وفضله في المجالات الصحية في الإسلام في أحاديث كثيرة، منها ما رواه أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من عاد مريضًا نادى مناد من السماء: طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا**»[3]، رواه ابن ماجه، وهنا يحضُّ نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الوقوف إلى جوار المريض، وتخفيف آلامه الجسدية، ورفع روحه المعنوية، وجعل الجنة نصيبًا لمن عاد مريضًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٤٥٣ رقم ١٧٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/٩٩ رقم٤٦٠)، ومسلم (٢/٦٥٩، رقم٩٥٦)، وابن ماجه (١/٤٨٩ رقم١٥٢٧)، واللفظ له.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/٤٦٤ رقم١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٢٤٤ رقم١١٨٤).

كما أنه من صفات المؤمنين كما جاء في حديث النعمان بن بشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١]، رواه مسلم. وهومن أسباب إعانة الله للعبد أن يكون في عون أخيه، والجزاء من جنس العمل، كما جاء في قوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[٢]، رواه البخاري ومسلم. ولا شك أن من أكبر كربات المسلم في الدنيا هي كربته في صحته وعافيته، وكما قيل: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى». فمساعدة المسلم لأخيه المسلم في شدته من أعظم القربات إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**»، قلت: وأي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا**»، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق**»، قلت: يا رسول الله إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك**»[٣]، وهنا يتبين أنه من أفضل الأعمال إعانة ذوي الاحتياجات الخاصة.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٠ رقم٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ رقم٢٥٨٥)، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨ رقم٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ رقم٢٥٨٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٤ رقم٢٥١٨)، ومسلم (١/ ٨٩ رقم٨٤).

٣- أقوال وأعمال الصحابة والتابعين في فضل التطوع الصحي:

يتبين لنا من كتب السيرة حرص صحابة رسولنا الكريم ﷺ على فعل الأعمال التطوعية الصحية، من أمثلتها ما رواه أبو هريره عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنة**»[1]، رواه مسلم. فهذه الأعمال التطوعية المختلفة، ومن ضمنها ما يختص بالمجال الصحي: كعيادة المريض. ثوابها عند الله الفضل العظيم.

وهنا قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كان على عادته يتفقد الناس ليلًا ونهارًا، فإذا ببيت شعر ينبعث منه أنين امرأة، وعلى بابه رجل قاعد، فسلم عليه عمر، وسأله: من هو؟ فأجابه بأنه رجل من البادية، جاء يصيب من فضل الله. فقال عمر: ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت، قال الرجل: انطلق رحمك الله لحاجتك، ولا تسأل عما لا يعنيك. فألحّ عليه عمر يريد معرفة الأمر، فأجابه: امرأة تمخَض -أي على وشك الولادة- وليس عندها أحد. فعاد عمر رضي الله عنه إلى منزله، وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٧١٣ رقم١٠٢٨).

فأخبرها الخبر، وأمرها أن تأخذ معها ما يحتاج إليه الوليد الجديد من ثياب، وما تحتاج إليه المرأة، وقدرًا وحبوبًا وسمنًا. فجاءت به، فحمل القدر ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، وقال لامرأته: ادخلي إلى المرأة. وجلس هو مع الرجل، وأوقد النار وطبخ ما جاء به، والرجل جالس لا يعلم من هو. وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم من داخل البيت: بشر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام، فتهيّب الأعرابي، وأطعم عمر الرجل من الطعام الذي أعده، وأعطى زوجته أم كلثوم فأطعمت المرأة النفساء، وقال للرجل: إذا كان غدًا فأتنا، نأمر لك بما يصلحك. فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذرية وأعطاه.

ولا شك أن مساعدة المرأة النفساء هي من الأعمال التطوعية الصحية النبيلة، التي تعكس القيم السامية المغروسة في نفوسهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن الأقوال المأثورة عن السلف الصالح، قول عبدالله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أمطر المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلًا، وإن أصاب اللئام كنت له أهلًا»[1].

وعندما سُئل الإمام مالك: أي الأعمال تحب؟ فقال: «إدخال السرور على المسلمين، وأنا نذرت نفسي، أفرّج كربات المسلمين».

---

(١) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٤/٤٥٢).

وقال الإمام الشافعي في مدح قضاء حاجات العباد، ولا شك أن حوائج الناس التي تلامس صحتهم وعافيتهم، من أهمها ومن أكثر ما يقض مضاجعهم:

الناس بالناس ما دام الحياة بهم ... والسعد لا شك تارات وهبات
وأفضل الناس بين الورى رجل ... تُقضى على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف من أحد ... ما دمت مقتدرًا فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت ... إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات